# من زاوية تربوية

# أيا أستاذ!.....

# إما أن تكون.......أو لا تكون


إعداد

## أ.د/ حسين عبدالعزيز الدريني

أستاذ متفرغ بقسم علم النفس التعليمي والإحصاء التربوي،

كلية التربية بنين بالقاهرة، جامعة الأزهر

# من زاوية تربوية

## أيا أستاذ!.....

## إما أن تكون.......أو لا تكون

تأتي هذه المقالةاعترافاً بفضل أساتذتنا الذين علمونا، وتعلمنا منهم وعنهم، من نفائس ونفحات زهور حدائق ابتكارية، أستاذي: أ.د. مصطفى سويف، وأستاذي: أ.د. اليس بول تورانس **Ellis Paul Torrance**، والزميل: أ.د. مصري حنوره

رحمهم الله تعالى رحمة واسعة

إذا جلست في شرفة منزلك في الحي الهادئ عندما يحتضر الصيف، وفي الهزيع الأخير من الليل مستمتعًا بسكون الوجود وهدوئه وبنسمة الفجر الباردة التي يحملها لك ميلاد بواكير الصباح النديّ، فستجد أنك قد طُفْتَ بفكرك محاولًا فهم حياتك واستجلاء بعضٍ من أسرارها. وفي لحظة تعقب السكون واختمار الفكر والوجدان تقفز إلى عقلك ووعيك إشراقةٌ تقول إن الإنسان يعيش مسرحية هو بطلها وإن الآخرين متفرجون أو مشاركون فيها. يدخل البطل المسرحية من باب قُدِّر له ليؤدي أدوارًا رسمتها له العناية الإلهية بكل اقتدار وحكمة. ثم يخرج البطل – شأنه شأن كل الكائنات –آفلًا إلى عالم الأبدية الرحب...فلا خلود تحت السماء.

حاول الأدباء والفنانون فى مسرحياتهم وقصصهم وآدابهم استجلاء بعض جوانب تلك الحياة وأسرارها. وبالرغم من تباين رؤاهم إلا أنهم اشتركوا في أن أهم محاور هذا الفهم هو سعي الإنسان الدائم إلى فهم ذاته واستجلاء جوانبها، وكأن كلًّا منا يردد مع إيليا أبو ماضي:

**لي ذات غير أني لست أدري ما هيه**
**فمتى تعرف ذاتي كنه ذاتي**
**"لعلي أدري"**

إذا كان سقراط قد لخص هذا السعي في عبارته الشهيرة "اعرف نفسك بنفسك"؛ فإن شكسبير في مسرحيته "هاملت" جعل أميره في مناجاته الفردية يتساءل... أكون أو لا أكون. أطلقها كدعوة لتأمل الذات والتفكر في حالة كونه موجودًا، أي أن يكون فاعلًا ومحققًا لذاته أو...لا يكون.

إذا كانت هذه الدعوة تمثل محورًا مهمًّا في حياة كل إنسان فإنها ضرورة لأهل العلم والمعرفة ومنهم الأساتذة. فالعلم شريان تاجي من شرايين الحضارة الإنسانية، ونبضه مؤشر دال

على حيوية الحضارة. والحضارة بدورها ليست مراحل منفصلة متمايزة بمقدار ما هي عملية متصلة وسيرورة متنامية تسلم كل مرحلة فيها إلى الأخرى.

إن العلم صنيعة الإنسان، إنه فعالية باستمرار، كل خطوة فيه قابلة للتجاوز وللتقدم. إن العلم هو المعرفة الصادقة، إنه قيمة، إنه بريق شعاع من القداسة.

والأساتذة (بالمعنى الواسع للمفهوم) هم من أوائل المسؤولين عن العلم، بل وحملة لواء تعلية بنيانه إلى ارتفاع لا محدود الآفاق متجدد العطاء. والأساتذة هم من يحترفون العلم بمناهجه وأدواته ويتخصصون في دراسته نظرًا وتطبيقًا، إحياءًا وابتكارًا، كشفًا للحقائق واكتسابًا للمعارف ونشرها وتوظيفها.

ويظل الأستاذ "الرجل نفسه" أنه رجل علم لديه رغبة تملك عليه كل نفسه هي الرغبة الدائمة والمتنامية في المعرفة، كما أنه إنسان له أهواؤه وعاداته ومصالحه (سويف، 1994).

إذًا...هل يوجد "نمط"معين للأستاذ أم "أنماط" مختلفة؟ وما مهام ومسؤوليات ذلك الأستاذ؟

تعددت وجهات النظر في الإجابة على السؤال الأول. تقوم إحدى وجهات النظر على أساس أسلوب الأستاذ في التدريس والتعامل مع طلبته، وتقوم وجهة النظر الأخرى على أساس دور الأستاذ كمشرف على بحوث طلابه، وتقوم وجهة النظر الثالثة على أساس النمو المهني لأساتذة الجامعة.

يمثل وجهة النظر الأولى (أبو حطب، آخر، 2000) إذ يرى أنه يوجد نوعان من الأساتذة يتبنى أحدهما الأسلوب الشخصي في التدريس والتعامل مع طلابه، أما الثاني فيتبنى الأسلوب غير الشخصي. يتمثل الأسلوب غير الشخصي في أن الأستاذ– سواء كان يحب طلبته أم لا يحبهم – يرى دوره على أنه منظم للعمل ومدبر له، وأن الصداقة تكون خارج نطاق العمل ولا تتداخل معه. أما الأسلوب الشخصي فيقوم على التعبير المستمر للأستاذ عن حماسه وحبه للعمل، وعلى التشجيع والتدعيم لطلابه، وعلى تقبل الطالب كشخص مهما كان أداؤه، وعلى اللياقة واللباقة في نقد الطلاب وأعمالهم، وعلى تقبل مشاعر طلابه ووضعها موضوع الاهتمام الجاد.

يندرج في تلك الفئة التصنيفية الأولى أن لكل أستاذأسلوبه المتميز وأسلوبه الذي يناسب كل موقف وكل متتلمذ، وتوجد ثلاث فئات من الأساتذة (حنوره، 2003):

- الأستاذ المحتضن: يقتصر دوره على مجرد مساعدة التلميذ أن ينمو دون أن يقدم له العلم المناسب، فهو يرعاه نفسيًّا وماديًّا واجتماعيًّا فحسب.

- الأستاذ الملقن: يهتم أساسًا بنقل ما لديه من علم ومعرفة وخبرة إلى طلابه. وهدفه الأساسي هو نقل ما في رأسه إلى رأس تلميذه أو ما لديه من مهارة إلى مَن يتلقى عنه التدريب.

- الأستاذ الراعي: يحرص هذا الأستاذ على أن ينقل مع المعرفة الخبيرة إلى تلميذه جوانب أخرى من السلوك. فهو ينمي في هذا التلميذ الشخصية والقيم والأساليب والمهارات الدقيقة من خلال المعايشة الحسنة والاقتراب الودود، دون أن يفرض على تلميذه وصايا أو يجبره على طريق دون سواه. فالهدف أن يجعل المتعلم راغبًا وقادرًا على أن يختار بنفسه مع التوجيه غير المباشر وغير الملزم ولكن من خلال شخصية هذا المتعلم الذي يجد نفسه بعد ذلك قادرًا على أن يفكر لنفسه ويبدع عندما يختار.

فإذا انتقلنا إلى وجهة النظر الثانية فيمكن تصنيف الأساتذة بناءً على دور الأستاذ كمشرف على بحوث طلابه إلى نوعين. أوضح (دينسون، 1987) ذلك بأنه يوجد رأيان متضاربان فيما يتعلق بقضية الإشراف على بحوث الطلاب – تتراوح ما بين انعدام التدخل التام، والتوجيه الكامل فيما يتعلق بالتفاصيل الفنية. يرى أصحاب الرأي الأول أنه ينبغي أن يتاح للطالب أن يجد طريقه بنفسه، بل وليجد مشروع بحثه. أما وجهة النظر المناقضة فترى أن طالب الدراسات العليا على قدر من الذكاء يسمح له بأن يكون الأداة التنفيذية لخطة بحث يضعها المشرف.

وفي مجال تكوين وإنشاء المدارس العلمية (سويف، 1994) يوجد نوعان: الأول: يكون الأستاذ هو الذي يفكر في كل صغيرة أو كبيرة، وهو الذي يخطط للمهام العاجلة والآجلة ولا يترك للتلاميذ سوى تبعية التنفيذ. أما النوع الثاني فيذوب الأستاذ بين جهود تلاميذه لدرجة يتعذر فيها اكتشاف أين تنتهي تعاليم الأستاذ وأين تبدأ إسهامات التلاميذ.

وتتمثل وجهة النظر الثانية أيضًا في تصنيف الأساتذة إلى نوعين: أساتذة ناصحون وأساتذة متساهلون (رزنيك، 2005). الأساتذة الناصحون هم العلماء الذين يمدون الطلاب بالخبرة وكيف تحدث الأمور وكيف يتصرفون ... إن النصح العلمي يعني الإشراف الدقيق والإرشاد عن كثب بين الأستاذ وطلابه وجهًا لوجه وخطوة بخطوة. أما الأستاذ المتساهل فهو الذي يحابي طلابه على حساب كفاءتهم العلمية بشكل مباشر مما يخل بمبدأ تكافؤ الفرص بين الطلاب. تقود تلك المحاباة والتساهل إلى الإخلال بالموضوعية العلمية والنزاهة الأكاديمية،

فيختل اهتمام الأستاذ بالصدق في الإنجاز ويكتفي بالمظهرية العلمية والتشبث اللفظي ببعض الأداءات والمصطلحات.

تقوم وجهة النظر الثالثة – في تصنيف الأساتذة –على أساس النمو المهني لكل منهم بناءً على هذه الوجهة توجد أربعة أنواع (الحسيني، 1995):

- الأول: ينصرف صاحبه تمامًا عن البحث والدراسة...ويكتفي بعدد الساعات التي يقوم بتدريسها ... ويصبح مدرسًا تقليديًا لا يحدّث مادته العلمية التي يقوم بتدريسها لسنوات طويلة.
- الثاني: يسعى صاحبه للتقدم للترقية ولكن بدافعية منخفضة وعلى المدى الطويل بحيث يحصل على الأستاذية قرب إحالته للمعاش ويكون إنجازه العلمي محدودًا جدًا.
- الثالث: يحرص صاحبه على سرعة الترقية في فترات معقولة وبدافعية مناسبة ويكون همه هو الإنجاز الأكاديمي على حساب الكيف.
- الرابع: وهم قلة من أعضاء هيئة التدريس وأصحابه من المبدعين الذين يكرسون حياتهم للعلم ويبذلون قصارى جهدهم من أجل تحقيق إنجازات علمية غير مسبوقة، فيوازنون بين الكم والكيف من ناحية وبين الإنجاز وزمنه من ناحية أخرى.

مما سبق يتضح من الإجابة على السؤال الأول أن هناك أنواعًا مختلفة من الأساتذة. يشير هذا الاختلاف إلى تعدد مسؤوليات الأستاذ وأدواره، ودرجة ونوعية دافعيته الأكاديمية والمهنية، وتقديره لمسؤوليته العلمية والمجتمعية، ودرجة إتقانه للاستعدادات والخصائص والمهارات والمهام المتعلقة بممارسته للمهنة، هذا بالإضافة إلى ما يمليه عليه الارتقاء المهنيمن متطلبات بناءً على التغيرات الثقافية في المجتمع والعلم.

إذا انتقلنا إلى السؤال الثاني عن مهام ومسؤوليات الأستاذ فإنه لما كان الأستاذ عضوًا في مجتمعه فإن عليه مسؤولية تحقيق أهداف هذا المجتمع بالتعلم والتعليم، بالبحث والدراسة، بالتغيير والتطوير، بالإبداع والتجديد. وحتى يحقق ذلك عليه أن يمارس عدة مهام أساسية (الدريني، 2005؛حنورة، 2003؛سويف،؛Torrance, 19841994).

**الأستاذ كمعلم:** لولا أن لدى الأستاذ معلومات جديدة لما كان أستاذا. إن عليه أن يعلم تلاميذه كل ما هو جديد في مجال تخصصه سواء كان علمًا نظريًّا أساسيًّا أم تطبيقيًّا عمليًّا أم استكماليًّا في مجالات بينيَّة.

يتغير مضمون العلم وأسلوبه مع مضي الزمن فبعد أن كان مضمون العلم معلومات تفصيلية بعينها إذابه يقترب تدريجيًّا من التطورات العامة واستراتيجيات التفكير. وبعد أن كان الأسلوب أقرب إلى التلقين الصريح فإنه يتحول بالتدريج ليصبح أقرب إلى التلميح والإيحاء. وبعد أن كانت وظيفة التعليم قاصرة على تلبية الاحتياجات المجتمعية والمطالب الفردية انتقلت إلى إكساب الإنسان القدرة على تحقيق ذاته في ظل عصر التجريب وقبول القضايا الخلافية والتعامل مع المحتمل والمجهول.

لا يتوقف دور الأستاذ المعلم مع انتهاء الطالب من دراسته وخصوصًا في الدراسات العليا بل يكون عليه أن يوضح لتلاميذه عما يعتور معلوماتهم من ثغرات يلزم سدها وأن يفتح أمامهم آفاقًا جديدة للبحث والدرس.

**الأستاذ كقدوة:** يُعدّ هذا من إحدى المهام التربوية للأساتذة. من المتوقع والمفروض أن يصل الأستاذ في إنجازه إلى المستوى الذي يرشحه لأن يُعدّ قدوة. إنه يستثير قدرًامن حب الاستطلاع الذي يمتزج أحيانًا بالإعجاب.

يثير الأستاذ كثيرًا من التساؤلات في نفوس تلاميذه ومريديه بعضها يتعلق بالعلم الذييتلقونه منه ويشاركونه في صنعه والبعض الآخر يتعلق بشخصه... بذلك تنفذ إلى تلاميذه بعض جوانب شخصيته ممثلة في عاداته العلمية والحياتية وفي قيمه.

تستمد القدوة قوتها من معايير السلوك الأخلاقي في العلم كالأمانة والموضوعية والنزاهة والانفتاحية والمسؤولية الاجتماعية والمشروعية والفاعلية واحترام الذات والاحترام المتبادل (روزنيك، 2005).

**الأستاذ كملجأ أو ملاذ:** يلجأ بعض التلاميذ إلى الأساتذة كملاذٍ لهم يطلبون مساعدتهم فىأمرٍ ما من أمورهم الحياتية، التي ليس لها صلة مباشرة بممارستهم العلمية. وهذا الجانب من مهام الأساتذة من أشد جوانب الإنسانية تأثرًا بالإطار الحضاري الذي يضم الأستاذ والتلميذ. فحيث لا تزال السلطة الأبوية قوية نسبيًّا والعلاقات الإنسانية مكثفة يزيد ظهور هذا الجانب ويكتسب وزنًا كبيرًا، والعكس صحيح حيث تضعف السلطة الأبوية وتنخفض العلاقات الإنسانية.

والوجه الآخر لهذه المسؤولية والمهمة نفسها هو تطوع الأستاذ بتقديم المساعدة الحياتية لتلميذه قبل أن يطلبها التلميذ بنفسه، إذا استشعر حاجته لتلك المساعدة.

**الأستاذ كصديق:** في سياق التجمع الإنساني الذي يجمع الأستاذ مع تلاميذه ومريديه تنمو مشاعر الصداقة كنبت طبيعي - إلا في بعض الحالات الخاصة -. والغالب أن يرحب بها أعضاء هذا التجمع سواء في علاقة التلاميذ ببعضهم البعض، أو علاقاتهم بأستاذهم، أو علاقة الأستاذ بتلاميذه.

تدعم تلك الصداقات المكانة العلمية للأستاذ لأنها لا تمس جوهر الاحترام فيها. إنها تضيف باستمرار إلى الاحترام عنصر الدفء العاطفي ليحل محل البرودة والجفاف وأمثالها مما قد يترتب على اعتياد الحياد الوجداني إزاء موضوعات الدراسة العلمية.

**الأستاذ كمصدر للفخر أو التفاخر:** جرى العرف في ميدان الحياة الأكاديمية أن يقدم التلميذ منسوبًا إلى الأستاذ الذي درس عليه. لهذا التنسيب أهمية خاصة فيتتبع نشوء النظريات والتقنيات وتطورها بالنسبة لدارسي تاريخ العلم. وهناك مهمةأخرى يقوم بها هذا التنسيب هي شعور التلميذ بالفخر نتيجة للانتساب إلى هذا الأستاذأو ذاك، وكذلك شعور من يقدمونه على هذا النحو بأنهم يمنحونه التشريف الذي يستحقه نتيجة لهذا الانتساب.

**الأستاذ كَرَاعٍ:** لا يقتصر فن الأستاذية الراعية على التعليم بل يشمل كل علاقة بين طرفين. طرف منهما محتاج إلى الرعاية وطرف آخر لديه عنصر أو أكثر من عناصر الخبرة التي يمكن أن تأخذ عددًا من الأشكال من بينها:

- الرعاية العقلية
- الرعاية العلمية والفنية
- الرعاية الوجدانية
- الرعاية المادية والاجتماعية والاقتصادية

الأستاذ الراعي بمثابة قائد يمارس مع تابعيه طرازًا متميزًا من السلوك القيادي يجمع بين الاهتمام بالعمل وبالجانب الإنساني معًا.

**الأستاذ كمبدع:** لدى الأستاذ رصيد من الخبرات والمعارف والمعلومات والمهارات. يزداد هذا الرصيد تنوعًا وعمقًا واتساعًا وثراءً مع الدرس والبحث، ويصاحب تلك الزيادة تعدد في وجهات النظر واختمار للمعلومات والمعارف وزيادة في تمثلها. كل هذا يسهم في توصل الأستاذ لما هو جديد ومبتكر يتشاركه مع تلاميذه فيزداد الفهم عمقًا وتزداد المعلومات تنوعًا واختمارًا وتنمو البنى المعرفية تداخلًا وتمايزًا.

والأستاذ المبدع يوجد ويخلق بيئة ميسرة للإبداع فيعلم تلميذه كيف يتعلم ويعمل، يحترم خيالاته وأسئلته مهما كانت غريبة، يقدِّر أفكاره ويشجعه على المزيد ... وغير ذلك من محفزات الإبداع.

تلكم بعض صور ومهام الأستاذية التي تزداد مع التقدم في العمر ثراءً، ومع الخبرة ارتقاءً، ومع الإخلاص ازدهارًا، ومع الدرس والبحث نماءً.

ثم ماذا بعد...أيا أستاذ!

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾

وهَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يعملون والَّذِينَ لا يعملون مع الذين يعلمون ويعملون بما علموا.

لعلَّ في ذلك تكون الإجابة

## المراجع

(1) أبوحطب، فؤاد، صادق، آمال. علم النفس التربوي. القاهرة: الأنجلو المصرية، 2000

(2) الحسيني، السيد (1995). هموم أكاديمية مصرية: محاولة أولية للتشخيص والتنميط. في معتز عبدالله، شاكر عبدالحميد، عبداللطيف خليفه، محمد عبدالعظيم. آليات الإبداع ومعوقاته في العلوم الاجتماعية. القاهرة: كلية الآداب جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات النفسية. (دار غريب للنشر، 2006)

(3) الدريني، حسين. دراسة تحليلية لعينة من نماذج تنمية الابتكارية. كلية الآداب جامعة طنطا،المؤتمر الدولي الأول لقسم علم النفس26 – 28 أبريل 2005،ص 138 – 206

(4) حنوره، مصري. الإبداع وتنميته من منظور تكاملي. القاهرة. الأنجلو المصرية، 2003

(5) ديكنسون، جون. العلم والمشتغلون بالعلم فيالمجتمع الحديث. الكويت: عالم المعرفة، 112، 1987

(6) رزنيك، ديفيد. أخلاقيات العلم. الكويت: عالم المعرفة 316، 2005

(7) سويف، مصطفى. نحنوالمستقبل. القاهرة: دار الهلال (كتاب الهلال) 523، 1994

(8) Torrance,E. P. MentorRelationship. N. Y. Bearly Limited, 1984